

الجزء بالكل، وتصفية الثنائيات، واختفاء الحدود، وسقوط الإحساس بالمسئولية والمقدرة على التجاوز. ومن هنا يبدأ البحث عن لغة واحدة بدلاً من لغة المجاز التوحيدية، لغة تفترض تصفية المدلول لحساب الدال، أو تصفية الدال لحساب المدلول، فتظهر واحدة الدال، وتصبح الكلمة هي نفسها معناها، فلا تشير إلى شيء خارجها (اللغة الأيقونية). أو تصبح الكلمة شديدة القرب من الواقع المادي (ملتصقة به)، بل تصبح متطابقة أو مترادفة معه (اللغة الحرفية).

وحين يمتزج الدال والمدلول امتزاجاً عضوياً قوياً، ويصبح الواحد كامناً في الآخر، تتوارى الصور المجازية والرموز (التي تفترض علاقة اتصال وانفصال بين الدال والمدلول) وتظهر الأيقونة، وهي «الشيء» الذي يمتزج فيه الدال بالمدلول امتزاجاً كاملاً، ليصبحا كلاً عضوياً واحداً، فتختفي المسافة بينهما، أي أنه في حالة الأيقونة لا يوجد اتصال بالواقع أو انفصال عنه، فالأيقونة مكتفية بذاتها تحوي داخلها كل ما يكفي لتفسيرها أو إدراكها. وتتطور الأيقونة وتُصَفَّى تدريجياً من كل الشوائب المتعينة والإنسانية، لتصبح العلامة الجبرية المجردة التامة الخالية من الحياة. واختفاء المجاز يسمُّ اللغة الحرفية أيضاً، فاللغة الحرفية تُلغي المسافة بين الدال والمدلول، إذ يتطابق الدال والمدلول واللغة مع الواقع الموضوعي العلمي أو التاريخي.

ويمكننا الآن أن نقارن بين ما يمكن أن نسميه اللغة المجازية (لغة المنظومات التوحيدية) من جهة، ومن جهة أخرى اللغة الواحدة الأيقونية والحرفية (لغة الحلولية الكمونية)، على النحو التالي ([أ] هي اللغة المجازية، أما [ب] فهي اللغة الأيقونية ثم الحرفية):

١- أ) الإله مدلول متجاوز يظل مفارقاً لنا، مختلفاً عنا، ومع هذا فهو لا يهجرنا، بل يرعانا. فعلاقته بنا علاقة اتصال وانفصال، تفصله عنا مسافة لا تتحوّل إلى هوة لأنه يرعانا. والإله، لأنه متجاوز للطبيعة والتاريخ، لا يمكن لأية صورة (أو دال) أو كيان مادي أن يحتويه، فهو المدلول المتجاوز.